﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾ [التوبة: 105]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لمَّا أخبر ربُّ العزَّة سبحانه أنَّه يقبل توبة التائبين، وأرشدَ إلى طرق التنقية والتطهير، فأمر رسوله بقبول صدقاتهم، ودعاه إلى تثبيت قلوبهم؛ بيَّن سبحانه مرغِّبًا للمُطيعين، ومرهِّبًا للمُذنبين أنّه يتوجَّب على الرّاغب في الكمال بعد التَّوبة أن يزيد من الأعمال الصّالحة؛ ليجبرَ ما فاته من الأوقات التي كانت حقيقةً بأن يعمرَها بالحسنات، فعمرَها بالسَّيِّئات، وأن يخلص أعماله لله[1].

العملُ الصّالح بعد التَّوبة من دلائل صدقها، ومن شروط كمالها

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَسَتُرَدُّونَ﴾: الرَّدُّ: صرْفُ الشَّيء ورَجْعُه[2]. وأصله يعود إلى معنى رَجْعِ الشَّيء[3]. والرَّدُّ: يكون صرفًا للشَّيء بذاته أو بحالة من أحواله عمّا هو عليه[4]. ومن النَّوع الثّاني - الذي هو صرفٌ للشَّيء بحالة من أحواله عمّا هو عليه - قولُه تعالى: ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾؛ لأنَّ هذا الرَّدَّ يكون بالموت والبعث، وهو صرْفٌ للشَّيء بحالة من أحواله عمّا هو عليه - في حالة الحياة - إلى حالة أخرى بالموت والبعث[5].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 16/141، وابن عادل، اللّباب: 10/193، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/25.
(2) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (ردد).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ردد).
(4) الرّاغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (ردد).
(5) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 3/97.

2) ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: شَهِد فلان يشهَد شهادة وشُهُودًا: أخبر خبرًا قاطعًا بأمرٍ عَلِمه وحَضَره[1]. وأصل معناه الذي يدور حوله: الحضور والعلم والإعلام[2]. و"الشَّهادة: الحضورُ مع المشاهدة إمّا بالبصر أو بالبصيرة، وقد يقال للحضور منفردًا، قال الله تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾"[3]. "والشَّهادة: ضدُّ الغيب، وهي الأمور التي يشاهدها النّاس، ويتوصَّلون إلى عِلْمِها، يقال: شَهِد، بمعنى حضر، وضدُّه: غاب، ولا تخرج الموجودات عن الاتِّصاف بهذين الوصفين، فكأنَّه قيل: العالِم بأحوال جميع الموجودات"[4].

3) ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾: النَّبأ: الخبر، تقول نَبَأ ونبَّأ: أخبر[5]. ومعناه المحوريُّ: الإتيان من مكان إلى مكان، والنَّبأ بمعنى: الخبر، لا يخرج عن هذا القياس؛ لأنَّ الخبر يأتي من مكان إلى مكان[6]. و"النَّبأ: خبر ذو فائدة عظيمةٍ يحصل به علمٌ أو غلبةُ ظنٍّ، ولا يقال للخبر في الأصل: نبأٌ حتى يتضمَّن هذه الأشياء الثَّلاثة"[7]. وقوله تعالى: ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. أي: فيخبركم بما كنتم تعملون.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

التـــزوُّدُ من العمل الصالح، والـحـــذرُ من الـــوقـــوع في العمل السيِّئ

وقُل أيُّها الرَّسولُ الكريمُ لهؤلاء التّائبين الَّذين تخلَّفوا عن الغزو والجهاد: اعملوا لله بعد توبتكم وإنابتكم كُلَّ ما يرضيه سبحانه مِنَ الطّاعة والعبادة وأداء الفرائض والتقرُّب إليه سبحانه بكُلِّ صُوَرِ

(1) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (شهد).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شهد).
(3) الرّاغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (شهد).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/309.
(5) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن فارس، المجمل، وابن منظور، لسان العرب: (نبأ).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نبأ).
(7) الرّاغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (نبأ).

العبادة وأشكالها؛ لأنَّه سيرى ذلك والرَّسولُ والمؤمنون، كما أنَّكم سترجعون بعد موتكم إلى مَن يعلم سِرَّكُم وعلانيتَكم؛ ليجازيَكم بما كنتم تعملون، إن خيرًا؛ فخيرٌ، وإن شرًّا؛ فشرٌّ[1].

وترشد الآيةُ إلى الوعيد والتَّهديد لمَنِ استمرَّ على باطله وطغيانه، وإلى أنَّه ينبغي للتائبِ من الذَّنب الكبيرِ أن يكثرَ بعده من الصالحاتِ، كالصدقات والصلواتِ ونحوها.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ العطف في: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ﴾:

التَّـوبـة ترفع المـؤاخـذةَ فيما مـضى، والعمل يعوِّض نقص ما انقضى

قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ﴾ معطوفٌ على قوله سبحانه: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ﴾ الذي هو في قوَّة إخبارهم بأنَّ الله يقبل التَّوبة، فإنَّ التَّوبة إنَّما ترفع المؤاخذة بما مضى، فوجب على المؤمن الرّاغب في الكمال بعد توبته أن يزيد من الأعمال الصّالحة؛ ليجبر ما فاته من الأوقات التي كانت حقيقةً بأن يعمرَها بالحسنات؛ فعمَرَها بالسَّيِّئات! فإذا وردت عليها التوبة؛ زالت السَّيِّئات، وأصبحت تلك المدَّة فارغة من العمل الصّالح، فلذلك أُمروا بالعمل عقب الإعلام بقبول توبتهم؛ لأنَّهم لمّا قُبلت توبتُهم؛ كان حقًّا عليهم أن يَدلُّوا على صدق توبتهم وفرط رغبتهم في الارتقاء إلى مراتب الكمال حتى يلحقوا بالذين سبقوهم، فهذا هو المقصود[2]، وسوَّغ العطف بين الآيتين أنَّهما إنشائيَّتان.

فالحاصل أنَّ عطف آية ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ﴾ على سابقتها فيه زيادةُ ترغيب في العمل الصّالح للتّائبين عن كبيرة التَّخلف عن الغزو،

(1) ابن جرير، جامع البيان: 11/667، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 3/97، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 6/399، والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، المنتخب في تفسير القرآن، ص: 278، والزحيلي، التفسير المنير: 11/30، والهرري، حدائق الروح والريحان: 12/28، ونخبة من العلماء، التفسير الميسر، ص: 203.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/25.

وللأوَّلين في الثَّبات على ما هم عليه، فالمعنى: قل لهم بعد ما بان لهم شأن التَّوبة: ﴿ٱعۡمَلُواْ﴾[1]، أي: بعد طهارتكم[2].

دلالةُ فعل الأمر ﴿وَقُلِ﴾ صيغةً ومبنًى:

ما على الرَّسول إلّا البلاغُ المبين

قوله تعالى: ﴿وَقُلِ﴾ فعل أمر مبنيٌّ على السُّكون، وحُذفت واوُه لالتقاء السّاكنَيْن، وحُرِّكت لامُه بالكسر للعلَّة نفسها، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبًا، تقديره: أنتَ، والمقصود به النَّبيُّ ﷺ[3].

وقد جاء الأمر بصيغة فعل الأمر المباشر ﴿وَقُلِ﴾ دالًّا على الوجوب؛ إذ لا قرينة تصرفُهُ عن أصل هذا المعنى.

وجاء الأمر بالقول دون غيره؛ لأنَّ القول موضوعٌ للإعلام باللِّسان، أو ما ينوب عنه من الكتابة أو الإشارة، ولمّا كانت وظيفةُ الرَّسول ﷺ هي البلاغ عن الله تعالى، استُخدمت وسيلةُ هذا البلاغ - وهي الخطاب الموجَّه لمَن أُمِر الرَّسولُ ﷺ بتوجيهه إليهم - في التَّعبير عنه، ويأتي فعل الأمر هذا في القرآن الكريم في قضايا وأحكامٍ لها عناية خاصَّةٌ استوجبت أن يبلِّغَها النَّبيُّ ﷺ بنفسه، ويتابعها.

وقد بقي في التِّلاوة فعلُ الأمر ﴿وَقُلِ﴾ للإشارة إلى أنَّ هذا القرآن متعبَّد بتلاوته لفظًا ومعنًى.

غرضُ الأمر: ﴿ٱعۡمَلُواْ﴾:

لا تخفى على الله خافيةٌ، والسِّرُّ عنده علانيةٌ فليُخلِصِ العاملون

قوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ﴾ صيغة أمر مضمَّنةٌ معنى الوعيد[4]، فظاهره ترخيصٌ وتخيير، وباطنه ترغيب وترهيب[5].

ففيه تخويفٌ وتهديد للمذنبين، أي: إنَّ عملكم لا يخفى على الله تعالى ولا على رسوله ﷺ ولا على المؤمنين، فسارعوا إلى أعمال

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/100.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 9/13.
(3) بهجت صالح، الإعراب المفصل: 4/381.
(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/80.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/100.

الخير، أو أخلصوا أعمالكم لله ﷻ، وفيه أيضًا ترغيبٌ وتنشيط للمطيعين، فإنَّ مَن علم أنَّ عمله لا يخفى سواء كان خيرًا أو شرًّا؛ رغب إلى أعمال الخير، وتجنَّب أعمال الشَّرِّ[1].

نكتةُ حذف مفعول ﴿ٱعۡمَلُواْ﴾:

حـذْفُ متعلَّقِ العمل يدلُّ على العموم

في قوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ﴾ أمْرٌ بالعمل موجَّه إلى مخاطَبين، وهم التّائبون أصحابُ وقعة النُّزول، حيث أُمِروا بالعمل عقب الإعلام بقبول توبتهم ليدلِّلوا على صدق توبتهم؛ ولذلك كان حذف مفعول ﴿ٱعۡمَلُواْ﴾ لأجل التَّعويل على القرينة، ولأنَّ الأمر من الله لا يكون بعملٍ غير صالح[2].

والمعنى: اعملوا جميع ما تؤمرون به ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ﴾[3]، واحذروا التَّهاون أو التَّخلُّف فإنَّكم مجزيُّون بما عملتم.

ونكتةُ حذف متعلق العمل هي الدَّلالة على العموم، فإنَّما العبرة بالعمل، لا بالاعتذار عن التَّقصير، ولا بدعوى الجِدِّ والتَّشمير، وخير الدنيا والآخرة منوطانِ بالعمل[4].

معنى الفاء في: ﴿فَسَيَرَى﴾:

عـلـمُ العـامـل بـرؤيـة الـلـه له مـمّـا يستحثُّه عـلى الـجـدِّ فيه والإخلاص

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَسَيَرَى﴾ فاء جواب، وكأنَّه قد قيل تأنيسًا لهم: اعملوا، فلن يضيع عملكم[5]، فهو بمعنى التَّعليل لما قبله والتَّأكيد للتَّرغيب والتَّرهيب[6]، وفيه زيادة في التَّحضيض، وتحذيرٌ من التَّقصير أو من ارتكاب المعاصي؛ لأنَّ كون عملهم بمرأى من الله تعالى ممّا يبعث على جعله يُرضي الله تعالى، وذلك تذكيرٌ لهم باطِّلاع الله تعالى بعلمه على جميع الكائنات[7].

(1) القنوجي، فتح البيان: 5/391.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/25.
(3) القاسمي، محاسن التأويل: 5/497.
(4) رشيد رضا، تفسير المنار: 11/27.
(5) الغرناطي، ملاك التأويل: 1/234.
(6) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/100، والآلوسي، روح المعاني: 6/16.
(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/25.

دلالة حرف التَّسويف:

عـلْـمُ الـلـه لا يتقيَّد بزمان، وسيجازي كلَّ عامل بما قدَّم

السِّين في قوله تعالى: ﴿فَسَيَرَى﴾ حرفُ استقبال مفيد للتَّأكيد وتحقُّق الوقوع[1]، أي: فسيرى الله ﷻ أعمالَكم المستقبلة، ويعلمها خيرًا كانت أو شرًّا، كما يرى أعمالَكم الماضية، ويعلمها، وسيجازيكم عليها[2]، فالاستقبالُ فيه إنَّما هو بالنَّظر للمجازاة، لا للعلم؛ فإنَّ علم الله تعالى حاصل بالفعل، غير متقيِّد بزمان، أي: فسيجازيكم على عملكم، والمجازاةُ من الله معلومة، وأمَّا من رسوله ﷺ ومن المؤمنين؛ فهي بمعنى: الثَّناء عليهم، والدُّعاء لهم[3].

دلالةُ التَّعبير بالرؤية مادَّةً وصيغةً:

التَّعبير بالرُّؤية في سياق الأمر بالعمل فيه ترغيبٌ وترهيب

أصل معنى الرُّؤية يدلُّ على نظرٍ وإبصارٍ بعيْنٍ أو بَصيرة، وهي تعني: إدراك المَرئيِّ، إمّا بالحاسَّة، أو بالعقل، أو بالتَّفكُّر، أو بالوهم والتَّخييل، والرُّؤية بالعين تتعدّى إلى مفعول واحد، وبمعنى العلم تتعدّى إلى مفعولين[4].

وفي قوله تعالى: ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ دليلٌ على كون الله ﷻ رائيًا للمرئيّات؛ لأنَّ الرُّؤية هاهنا معدَّاةٌ إلى مفعول واحد، فتكون بمعنى الإبصار، وذلك يدلُّ على كونه ﷻ مبصرًا للأشياء[5]، وذلك على النَّحو اللائق به ﷻ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

ولا شكَّ أنَّ رؤية الله تعالى شاملةٌ لأفعال القلوب والجوارح جميعًا، أمَّا رؤية الرَّسول ﷺ والمؤمنين؛ فلا تشمل أفعال القلوب إلّا بإرادة الله تعالى وإطلاعه وإفشائه[6].

(1) الدرة، تفسير القرآن وإعرابه وبيانه: 4/228.
(2) الهرري، حدائق الروح والريحان: 12/28.
(3) القنوجي، فتح البيان: 5/392، ومحيي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه: 4/172.
(4) الجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (رأى).
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 16/142.
(6) النيسابوري، غرائب القرآن: 3/527.

وفي التَّعبير بالرُّؤية في سياق الأمر بالعمل ترغيبٌ وترهيب، فكأنَّه قال: اجتهدوا في العمل في المستقبل، فإنَّ الله تعالى يرى أعمالكم، ويجازيكم عليها[1]، فيُقبل المحبُّون، ويُحسِّنون العمل، ويُخوَّف المذنبون، فإنَّ جرائمهم مُحصيَّةٌ عليهم.

وقد جيء بالفعل مضارعًا لمشاكلة العملِ الذي من شأنه أن يقع مرَّةً بعد مرَّة، وتتعاوره الحالاتُ والأزمان، فمهما يُعمَل من عمل؛ فإنَّ الله ﷻ يراه، ويعلمه، ويحصيه، ويحاسِب عليه، ويجازي به.

سرُّ التَّعبير بالألوهيَّة في: ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ﴾:

لمّا كانت الآية الكريمة مبدوءةً بالأمر بالعمل؛ ناسَب أن يُعبَّر معها بعنوان الألوهيَّة؛ ذلك أنَّ الإله الحقَّ هو الذي له العلوُّ الكامل، والعِلم الكامل، والإحاطة الكاملة، والغِنَى الكامل، فلم يأمر عباده بالعمل؛ لأنَّه ينتظر من ورائه نفعًا - حاشاه - ولا لأنَّ ترْك هذا العملِ يعود عليه بضرٍّ - سبحانه وبحمده - فإنَّ ثواب هذا العمل إنَّما يعود على العامل نفسِه، والله غنيٌّ عنه، كما أنَّ ترْكَ العمل إنَّما يعود ضرُّه على صاحبه، والله عليٌّ قويٌّ عزيز.

لا ينتفع الإلـهُ بصلاح عباده، بـل هـو الكامل الـغـنـيُّ، وهـم المفتقرون إليه

ومصداقُ هذا ما ورد في الحديث القدسيِّ: «يا عِبادي، إنَّكُم لن تَبْلُغوا ضَرّي، فتَضُرّوني، ولن تَبْلُغوا نَفْعي، فَتَنْفَعوني... إنَّما هي أعمالكم أُحْصيها لكم، ثمَّ أُوَفّيكم إيّاها، فمَنْ وجد خَيرًا؛ فلْيَحْمَدِ الله، ومن وجد غير ذلك؛ فلا يَلُومَنَّ إلّا نَفْسَهُ»[2].

ويضاف إلى ما تقدَّم أنَّ الاسم الجليل (الله) علَمٌ على المعبود بحقٍّ جلَّت قدرته، ولمّا كانت العبادة تقتضي فعلَ ما أمرَ به الإله، واجتنابَ ما نهى عنه ابتغاءَ مرضاته، وكان الإيمان قولًا وعملًا،

(1) الخازن، لباب التأويل: 2/405.

(2) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البرُّ والصِّلة والآداب، باب: تحريم الظُّلم، حديث رقم: (2577): 8/16.

وكانت الآية مصدَّرةً بفعلي أمر هما: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ﴾؛ لمّا كان ذلك كذلك؛ ناسَب التَّعبير بعنوان الألوهيَّة؛ فالإلهُ معبود، والعبادةُ اعتقاد، وقول وعمل، وقد أمرت الآية بالأخيرين في ﴿ٱعۡمَلُواْ﴾ تغليبًا، وبالأوَّل في ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ﴾.

فائدةُ توالي الجمل الفعلية في: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ﴾:

في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ﴾ توالت ثلاثُ جمل فعليَّة، وهي:

جملة: ﴿وَقُلِ﴾، وجملة: ﴿ٱعۡمَلُواْ﴾، وجملة: ﴿فَسَيَرَى﴾.

من شأن العمل أن يقع متكرِّرًا متجدِّدًا مِن عامله، وكلُّ ذلك معلوم لله

ولمّا كان السّياق سياقَ أمرٍ بالعمل، وكان المأمورون به جماعة، وكان من شأن العمل أن يقع متكرِّرًا متجدِّدًا حادثًا بعد أن لم يكن؛ لمّا كان ذلك كذلك؛ ناسَب التَّعبيرُ بالجملة الفعليَّة التي "تدلُّ بأصل وضعها على التَّجدُّد في زمن معيَّن مع الاختصار"[1].

فائدة عطف ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾:

خُصَّ الرَّسول ﷺ بالذِّكر؛ لأنَّه مَن يعبأ المخاطَبون برؤيته

عُطِف قوله تعالى: ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ على اسم الجلالة؛ لأنَّه ﷺ هو المبلِّغ عن الله ﷻ، وهو الذي يتولَّى معاملتهم على حسب أعمالهم[2].

فلمّا خوَّفهم الله ﷻ برؤيته سبحانه لأعمالهم، وعلم أنَّ فيهم مَن تتقاصر حالته عن الاحتشام لاطِّلاع الحقِّ، قال: ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾[3].

وتخصيصه ﷺ والمؤمنين بالذِّكر؛ لأنَّهم هم الذين يعبأ المخاطَبون باطِّلاعهم[4].

نكتة تأخير ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾:

التَّشريك في الرُّؤية لا يعني تماثلها ممَّن نُسِبت إليه

عُطِف قوله تعالى: ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ على الاسم الجليل، وأُخِّر

(1) المراغي، علوم البلاغة، ص: 56.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/25.
(3) القشيري، لطائف الإشارات: 2/61.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 6/16.

عن المفعول؛ للإشعار بما بين الرُّؤيتين من التَّفاوت[1]، فالتَّشريك في الرُّؤية لا يعني تماثلها ممَّن نُسبَت إليه، فإنَّ رؤية الله تعالى يلزم منها تعلُّق العلم بالواقعات، سواء كانت ذواتٍ مبصَرَات، أم كانت أحداثًا مسموعات ومعانيَ مدرَكَات[2]، أمَّا نسبتُها للرَّسول ﷺ والمؤمنين؛ فباعتبار أنَّ الله تعالى لا يُخفي ذلك عنهم، بل قد يطلعهم عليه إن شاء، إمَّا بالوحي أو بغيره[3].

غرضُ حذْفِ الرؤية من السّياق:

الـرَّسـول ﷺ مؤيَّدٌ بوحي مِن ربِّـه عـالـمٌ بما أطلعه الله عليه

في قوله سبحانه: ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ﴾ حذْفٌ مفهوم من السِّياق، وتقديره: (وَ) يراه ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ ﷺ؛ بإطلاع الله إيّاه على أعمالكم، كما أطلعه على أعمالكم الماضية بفضيحتكم عليها، (وَ) يراه ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾ بما قذف الله تعالى في قلوبهم مِن محبَّة الصّالحين وبُغض المذنبين[4].

فالملاحَظ أنَّ فعل الرُّؤية ذُكر مرَّة واحدة مع اختلاف معناها بحسب ما أُسنِدَت إليه، غير أنَّها أُخرِجَت مخرجَ الرُّؤية الواحدة، فتتوالى المعطوفاتُ في نسق واحد دون أن يفصلَ بينها فاصل؛ تشريفًا وتعظيمًا للرَّسول ﷺ، وتخصيصًا للمؤمنين الذين أخلصوا الاعتقاد، وأحسنوا العمل، فرفع الله تعالى مكانتهم، وأناط الأمر برؤيتهم.

غرضُ إضافة الرَّسول إلى الضمير العائد على لفظ الجلالة:

الإضـافـةُ إلى العظيم تقتضي الـتَّـشـريـف والتَّعظيم

في قوله تعالى: ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ﴾ أُضيف لفظ الرَّسول إلى الضَّمير العائد على الاسم الجليل، وهذه الإضافةُ أفادت التَّعظيم والتَّشريف والتَّبجيل لرسول الله ﷺ؛ فإنَّ ما أُضيف إلى العظيم عظيمٌ، والإضافة إلى الله للمضاف عظيمةٌ[5].

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/100.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/26.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 6/16.
(4) الهرري، حدائق الروح والريحان: 12/29.
(5) حسن، بلاغة اللغة: 1/449.

نكتة عطف ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾:

في قوله تعالى: ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾ عُطِف المؤمنون على الرَّسول ﷺ؛ لتشريفهم، أو لتعليق الأحكام الشَّرعية بهم بعد وفاة رسول الله [1]ﷺ، وأيضًا لأنَّهم شهداءُ الله في أرضه، ولأنَّ هؤلاء الذين تخلَّفوا عن الغزو لمّا تابوا؛ رجعوا إلى حظيرة جماعة الصَّحابة، فإنّ عملوا مثلهم؛ كانوا بمحلِّ الكرامة منهم، وإلَّا كانوا ملحوظين منهم بعين الغضب والإنكار، وذلك ممّا يحذره كلُّ أحد هو مِن قوم يرمقونه شزرًا، ويرونه قد جاء نُكرًا[2].

المؤمنون شهداءُ الله في الأرض، وهم ثقاتٌ عُدول

ولمّا كان المؤمنون شهداء الله يوم القيامة، وكانت الشَّهادة لا تصحُّ إلّا بعد الرُّؤية؛ ذكر تعالى أنَّ الرَّسول ﷺ والمؤمنين يرون أعمالهم، والمقصود: التَّنبيهُ على أنَّهم يشهدون يوم القيامة، عند حضور الأوَّلين والآخِرين بأنَّهم أهل الصِّدق والسَّداد والعفاف والرَّشاد[3]، فالتزموا بهذا المنهجِ حتى يشهدَ لكم المؤمنون بما يرون من أعمالكم[4].

والآيةُ تهدينا إلى أنَّ مرضاة جماعة المؤمنين القائمين بحقوق الإيمان، المقرَّرة صفاتهم في القرآن تلي مرضاة الله تعالى ورسوله ﷺ، وأنَّهم لا يجتمعون على ضلالة[5].

نكتةُ التَّعبير بالإيمان دون الإسلام:

لمّا كانت الآية خطابًا للنّاس جميعًا يندرج تحته اندراجًا أوَّليًّا التّائبون من تخلُّفهم عن غزوة تبوك مع النَّبيِّ ﷺ، وهم الذين جاؤوا بأموالهم متصدِّقين منيبين، وقد قبل الله تعالى توبتهم وزكّاهم،

في الإيمان صدقُ الاعتقاد مع إخلاص العمل، وهو نقيض النِّفاق

(1) الجرجاني، درج الدرر: 2/918.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/26.
(3) القاسمي، محاسن التأويل: 5/479.
(4) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 9/5481.
(5) رشيد رضا، تفسير المنار: 11/28، والهرري، حدائق الروح والريحان: 12/29.

فرفعهم من دنس النِّفاق إلى طُهْر الإيمان، لمّا كان ذلك كذلك؛ ناسب أن يُعَبَّر بالإيمان الذي هو نقيض النِّفاق، وليكون هذا تعريضًا بالمنافقين الذين قعدوا عن الجهاد، وتقاعسوا عن التَّوبة والإنابة، وضنُّوا بأموالهم وأنفسهم، فكأنَّه قد قيل لهم: اقعدوا متضمِّخين بنجس النِّفاق، فلن تنالوا خيرًا في الدُّنيا ولا في الآخرة، أمَّا مَن كانوا معكم بالأمس، وتابوا اليوم توبة صادقةً؛ فقد نجوا بأنفسهم، وفارقوا جُحركم الخَرب، وأصبحوا مع المؤمنين إخوانًا متحابِّين.

ويضاف إلى ذلك أنَّ في التَّعبير بالإيمان إشارةً إلى صدق الاعتقاد مع إخلاص العمل، ولن يدرِك صدقَ عملِ التّائب وإخلاصه إلّا مَن ذاق حلاوة ثمرة الإخلاص، وهو المؤمنُ، فمِن ثَمَّ عُبِّر بالإيمان دون الإسلام، وفيه مِن التَّشريف والتَّعظيم لمقام الإيمان في مقابل الحطِّ من شأن النِّفاق ما لا يخفى.

بلاغةُ العطف في: ﴿وَسَتُرَدُّونَ﴾:

قوله تعالى: ﴿وَسَتُرَدُّونَ﴾ معطوفٌ على قوله تعالى: ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾، وهنا تظهر بلاغةُ العطف في ترتيب الجزاء على العمل، فبعد أنْ أرشدهم الله تعالى إلى ما يقتضي الإحسان في الأعمال مِن مراقبته سبحانه وتحرّي مرضاته، ومرضاة رسوله ﷺ، وجماعة المؤمنين - ذكَّرهم بما يقتضي ذلك من جزاء الآخرة عليها[1].

مَـن عـلـم أنَّـه مـجـزيٌّ بعمله قريبًا أخلص في عمله وأحسنه

فائدة دخول حرف التسويف:

(السِّين) في قوله تعالى: ﴿وَسَتُرَدُّونَ﴾ تدلُّ على قرب الرَّدِّ، أي: الرُّجوع إلى الله، أي: قرب الجزاء والثواب، أي: تثابون على العمل الصّالح في الدُّنيا والآخرة، من دون تأجيل[2].

لا شكَّ في الموت أو البعث، فهما واقعان لا محالة

فحرف التَّسويف لتأكيد وقوع ما بعده في المستقبل، أي: ستعودون

(1) رشيد رضا، تفسير المنار: 11/29.

(2) الهلال، تفسير القرآن الثري الجامع: 4/519 - 520.

إليه سبحانه، وتُعرَض عليه أعمالُكم لا تخفى منها خافية، وهذه الجملة السّامية فيها تبشير وإنذار، تبشير للمؤمنين، وإنذار للمشركين الذين عصَوا أمرَ ربِّهم، واستمرُّوا في عصيانهم وضلالهم[1].

وهو إيذانٌ بقربِ الجزاءِ والثَّواب[2]، ففيهِ حضٌّ على مواصلةِ العمل، تطمينًا لنفوسِ المؤمنين المخبتين، بينما الآيةُ السّابقةُ جاءتْ من غيرِ السِّين: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [التوبة: 94]، خطابٌ للمنافقينَ، ففيهِ تهديدٌ ووعيدٌ قاطعٌ لأطماعِ المنافقينَ في العفوِ[3].

دلالةُ التَّعبير بـ(تُردّون) مادَّةً وصيغةً:

الرَّدُّ: الإرجاع، والمراد به هنا: مصير النُّفوس إلى عالَم الخُلد الذي لا تصرُّف فيه لغير اللّه سبحانه، ولو في ظاهر الأمر، ولمّا كانت النُّفوس من خلق اللّه، وقد أنزلها إلى عالم الفناء الدُّنيويِّ، فاستقلَّت بأعمالها مدَّة العمر، كان مصيرها بعد الموت أو عند البعث إلى تصرُّف اللّه فيها، شبيهًا بردِّ شيء إلى مقرِّه أو إرجاعه إلى مالكه[4].

النَّفْس مملوكةٌ لباريها، خلقها للعبادة ورزقها مـا يعينها عليها، وهو سائلها

وقد اختير لها أن تُبنى لما لم يُسَمَّ فاعلُه، للعلم به؛ إذ لا يقدر على إحياء الموتى إلّا اللّهُ تعالى، فالاهتمام هنا بقضيَّة البعث، وما يترتَّب عليها من حساب وجزاء.

ويضاف إلى ذلك ما في بناء الصّيغة من معنى الإجبار، وتأكيد استحالة الفرار.

سرُّ العدول عن الظّاهر للمضمر في: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾:

في قوله تعالى: ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ إظهارٌ في موضع الإضمار؛ لأنَّه ﷺ قال: ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾

مَن علم أنَّ مردَّه إلى مَن لا تخفى عليه خافية؛ هاب أن يقع في معصية

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3438.
(2) ابن جماعة، كشف المعاني، ص: 117.
(3) ابن الزّبير الغرناطيّ، ملاك التّأويل: 1/599.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/8.

ولم يقل - ولكلامه المثل الأعلى - (وستردُّون إليه)؛ وذلك للإشارة إلى أنَّ الأمر سيرجع إلى مَن لا تخفى عليه خافيةٌ في السَّماء والأرض[1]، ولا يعزب عنه شيء من أعمال الخلائق، وهذه زيادةٌ في التَّرغيب والتَّرهيب؛ ليعلموا أنَّه لا يخفى على الله سبحانه شيء[2]، وفي ذلك مِن تهويل الأمر وتربية المهابة ما لا يخفى[3].

سرُّ العدول عن عنوان الألوهيَّة إلى الصِّفة: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾:

أحصى الله أعمالَ عباده إحصاءَ العالِمِ بها، وسيجازي كلًّا بحسبه

في قوله تعالى: ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ عُدِل عن التَّعبير بعنوان الألوهيَّة إلى الوصف بالعِلم المضاف إلى ﴿ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾؛ لِما في الوصف بالعِلم من المناسبة لِما قبله من رؤية الأعمال، وإحصائها، والجزاء عليها، فإنَّه سبحانه أحصاها إحصاءَ العالم بها، حيث قد علِم نيَّةَ كلِّ فاعل وقصدَه، فميَّز المؤمنين مِنَ المنافقين، والمخلصين مِنَ المرائين.

معنى (أل) في: ﴿ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾:

علْمُ اللهِ قد وسع كلَّ شيء، وأحاط بكلِّ شيء، فلا يخفى عليه شيءٌ

اللّام في قوله تعالى: ﴿ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ للاستغراق، أي: يعلم الله كلَّ غيب، وكلَّ شهادة[4]، وهذا لتأكيد إحاطة علم الله تعالى بكلِّ شيء، وفيه طمأنةٌ للمؤمنين بأنَّ أعمالهم الصّالحة لن تضيع هباءً، وفيه تحذيرٌ للمذنبين من كون كلِّ ما عملوه في الخفاء هو معلومٌ لله سبحانه، ولم يخفَ عليه، بل قد أحصاه، وسيجازيهم به.

سِرُّ تخصيص الغيب والشَّهادَة، وفائدة الطِّباق فيهما:

يستوي عند الله السِّرُّ والعلَن، فما مِن مهرب منه ولا مفَرّ

معنى الغيب والشَّهادة: ما غاب، وما شوهد، فهما حالتان تعمّانِ كلَّ شيء[5]، فهُما قِسما الموجودات؛ ذلك أنَّ الأشياء إمَّا أن تكون

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3439.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/8.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/100.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/8.
(5) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/80.

خفيَّةً، وإمَّا ظاهرةً، وإمَّا حاضرة وإمَّا غائبة، وإمَّا مُدرَكَة بالحِسِّ، وإمَّا خارجة عن إدراك الحواسِّ للطفها أو لعِظَمها أو لكون الحواسِّ غير مهيَّأة في أصل خِلقتها لإدراكها، فهذا الطِّباق الذي جمعَ فيه بين الشيء وضدِّه في الكلام، والذي صيغت به الجملة الكريمة قد عمَّ تحت مظلَّته كلَّ موجود، فالمقصود من ذِكر الغيب والشَّهادة تعميمُ الموجودات جميعًا، فإليهما تنقسم موجودات الكونِ كلِّه.

نكتةُ تقديم الغيب على الشَّهادَة:

العِلمُ بالعلَّةِ علَّةٌ للعِلم بالمعلول

قُدِّم الغيبُ على الشَّهادة في قوله تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾؛ لتحقيق أنَّ نسبة علمه المحيط بالسِّرِّ والعلن واحدة على أبلغ وجهٍ وآكده، لا لإيهام أنَّ علْمَه سبحانه بما يُسِرُّونه أقدم منه بما يُعلنونه، فعلْمُه سبحانه بمعلوماته منزَّه عن أن يكون بطريق حصول الصُّورة، بل وجود كلِّ شيء وتحقُّقه في نفسه عِلم بالنِّسبة إليه تعالى، وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الأمور البارزة والكامنة، وإمَّا للإيذان بأنَّ رتبة السِّرِّ متقدِّمة على رتبة العلن؛ إذ ما مِن شيء يُعلن إلّا وهو أو مباديه القريبة أو البعيدة مضمر قبل ذلك في القلب، فتعلُّق علمه تعالى به في حالته الأولى متقدِّم على تعلُّقه به في حالته الثّانية[1].

فضلًا عن أنَّ تقديم الغيب على الشَّهادة إشعارٌ بسَعة علمه ﷻ، وأنَّه لا يخفى عليه شيء، ويستوي عنده كلُّ معلوم[2].

معنى الفاء في: ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾:

مَن علم أنَّه إلى مـولاه راجـعٌ؛ عَلِمَ أنَّه مسؤول عـمّـا قـدَّم، فلْيُعِدَّ للسُّؤال جوابًا

(الفاء) في قوله تعالى: ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ للإفصاح عن شرط مقدَّر، أي: إذا كنتم ستُردُّون إليه سبحانه؛ فإنَّه ينبِّئكم، أي: يخبركم إخبارَ فعلٍ وجزاء بما كنتم تعملون، فترون أعمالكم عيانًا، تنطق بها جوارحكم، وكتابًا منشورًا قد سجَّل كلَّ ما عملتم، لا يدع

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/101.
(2) الشوكاني، فتح القدير: 2/455.

صغيرة ولا كبيرةً إلّا أحصاها، فتُجزى كلُّ نفس بما كسبت، وإنَّ هذا فيه تبشيرٌ للمؤمن، وإنذار للمشرك والمنافق، وأعمالهم كلُّها في كتابٍ[1].

وقيل: الفاء عاطفة[2]، تفيد التَّرتيب والتَّعقيب، حيث رتَّبت الإنباءَ والجزاء على الرَّدِّ الذي هو عبارة عن الأمر الممتدِّ إلى يوم القيامة ترتيبَ تعقيبٍ[3].

دلالةُ التَّعبير بـ ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ مادَّةً وصيغةً:

ذِكْـرُ المجازاةِ في مقام الجناية لازمٌ لإحاطة علمِ العليم به

الإنباءُ: الإخبار، واستُعمل قوله تعالى: ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في لازم معناه، وهو المجازاة على كلِّ ما عملوه، أي: فتجدونه عالمًا بكلِّ ما عملتموه، وهو كنايةٌ؛ لأنَّ ذِكر المجازاة في مقام الإجرام والجناية لازمٌ لعموم عِلم مَلِكِ يوم الدّين بكلِّ ما عملوه[4]، ففي الآية وعدٌ ووعيد[5].

والمعنى: يعرِّفكم أحوالَ أعمالكم، ثم يجازيكم عليها؛ لأنَّ المجازاة من الله تعالى لا تحصل في الآخرة إلّا بعد التَّعريف، ليعرف كلُّ أحد أنَّ الذي وصل إليه عدلٌ لا ظلم، فإنْ كان من أهل الثَّواب؛ كان فرحُه وسعادته أكثرَ، وإنْ كان من أهل العقاب؛ كان غمُّه وخسرانه أكثرَ[6].

معنى الباء و(ما) في: ﴿بِمَا﴾:

يوم القيامة تُبلَى السَّرائر، ويظهر ما في الضَّمائر وتُجلّى حقائق الأعمال

الباءُ في قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ للإلصاق، و(ما) يصلح أن تكون موصولة بمعنى الذي، أو مصدرية[7]، فبالحمل على

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3439.
(2) محيي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه: 4/173، وبهجت صالح، الإعراب المفصل: 4/382.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/101.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/8.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 6/17.
(6) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 16/144.
(7) الهلال، تفسير القرآن الثري الجامع: 4/507.

الموصوليَّة، يكون المعنى: ينبِّئكم بالذي كنتم تعملونه، وبالحمل على المصدريَّة؛ يكون المعنى: ينبِّئكم بعملكم[1].

والفرق: أنَّ معنى الموصوليَّة قُصد فيه الدِّلالة على معانٍ تتضمَّنها صلةُ الموصول؛ إذ لمّا كان معناه: (الذي كنتم تعملون)، كانت دلالةُ ذلك إحاطة علم الله بعمل كلِّ عامل، فجميع أعمال العاملين متساويةٌ في العلم عند ربِّ العالمين، فلم يُفْلِت منه سبحانه أحدٌ.

ولأنَّ أعمال العباد متشعِّبةٌ، بل نيّاتهم في العمل الواحد مختلفةٌ، وفي هذا نوعُ إبهامٍ؛ كان التَّعبير باسم الموصول مناسبًا لذلك، فيوم القيامة يعرف كلُّ عامل حقيقةَ عمله الذي كان يعمله.

أمَّا معنى المصدريَّة؛ ففيه معنى إضافة العمل إلى عامله، أي: إنَّ كلَّ إنسانٍ سيُسأل عن عمله هو، ولن تزر وازرة وزر أخرى، ولا يظلم الله أحدًا.

نكتةُ دخول كان على العمل:

كـــلٌّ يـعـمـل عـلى شاكـلتِهِ، وسيجازي الله كلًّا بما عمِل

سَبْقُ الفعلِ المضارع بـ(كان) يدلُّ على تكرُّر الحدث، ووقوعه أكثر من مرَّة في الماضي، واستمرار حدوثه بعد ذلك، فهذا يفيد الدَّلالة على الاستمرار أو الاعتياد[2].

أي: إنَّهم استمرُّوا على أعمالهم التي عملوها، وكلٌّ منهم كان يعمل على شاكلته، وقد علم الله ذلك كلَّه، وقدَّره، وأحصاه.

دلالةُ التَّعبيرِ بـ﴿تَعْمَلُونَ﴾ مادَّةً وصيغة:

الـعـمـل يـعـمُّ الاعـتـقـاداتِ والأقـــوالَ والأفعال، وكلُّ ذلك مكتوبٌ عند ذي الجلال

تدور معاني العملِ حول بذل جهد ماديٍّ يؤدِّي إلى إحداث شيء أو هيئة أو نقلة... إلخ، فهو عامٌّ في كلِّ فعل يُفعَل، ويغلب فيه جانب

(1) الهرري، حدائق الروح والريحان: 12/33.
(2) السامرائي، معاني النحو: 3/319.

القصد والعمد، والعمل يعمُّ أعمال الجوارح والقلب، ويدخل فيه كذلك الأقوالُ؛ لأنَّها عمل اللِّسان، وهو مِن جملة الجوارح[1].

ومن هنا تظهر دلالةُ التَّعبير بالعمل دون غيره، ذلك أنَّه يعمُّ الاعتقاداتِ والنِّيّات، وأعمالَ الجوارح الظّاهرة، وأقوال اللِّسان؛ فإنَّ كلَّ ذلك في علم اللّه الشاملِ المحيطِ بكل شيء بما فيه أفعال العباد، ومكتوبٌ عند اللّه تعالى قبلَ خلقِ السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرةً إلَّا أحصاها، وقد خلقه ﷻ وقدَّره، وهو من إرادته التي شاءها ﷻ والتي لا يخرج عنها شيءٌ في هذا الكون.

فالمراد بالعمل: ما يشمل العمل النَّفساني من الاعتقاد والنِّيَّة، وممّا كان مشهودًا للنّاس منه، وما كان غائبًا عن علمهم منه، ينبِّئ اللّهُ تعالى به عند الحساب، وما يترتَّب عليه من الجزاء بحسن الثَّواب، أو سوء العذاب، فإطلاق العمل على ما يشمل ذلك تغليبٌ[2].

وهذا التَّسجيل الدَّقيق لعموم ما أضمره الإنسان، وأظهره، يدلُّ على حتميَّة الحساب المترتِّب عليه، والجزاء الذي يعقب الحسابَ.

وأوثر التَّعبير بالمضارع للدِّلالة على أنَّ عملهم لم يغب عن علم اللّه تعالى، ففي كلِّ حركة وسكنة، ونوم ويقظة، وهمس وجهر، وعلَنٍ وسرٍّ كان اللّه تعالى معهم، يسمع، ويرى، ويعلم، وملائكته الكرام الكاتبون يسجِّلون، ويكتبون.

سرُّ ذكر لفظ ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ هنا وعدم حذْفِه:

أعمالُ المؤمنين ظاهرةٌ، وسرائرهم طاهرة

في الآية الأولى (الآية: 94) كان الكلام على المنافقين الذين يخالف ظاهرُهم المموَّه باطنَهم المشوَّه، فهؤلاء لا يطَّلع

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (عمل).

(2) رشيد رضا، تفسير المنار: 11/29، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/25.

على ضمائرهم إلا اللّهُ تعالى، ثمَّ رسوله ﷺ؛ بإطلاع الله تعالى إيّاه عليها، كقوله: ﴿قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ﴾؛ فلذلك لم يُذكر المؤمنون.

أمَّا الآية الثّانية؛ فهي في المؤمنين الذين خَلَطوا عملًا صالحًا، وآخر سيِّئًا، وطاعاتُ المؤمنين وعباداتهم؛ كالصَّلاة، والإنفاق (الصَّدقات)، والحجِّ، والعمرة، والصّيام ظاهرةٌ للّه ورسوله ﷺ والمؤمنين، فهي التي تشاهَدُ، ويشاهَد التَّفاوتُ فيها بين المحافظ والمقصِّر[1].

وجهُ حذف حرف العطف ﴿ثُمَّ﴾ هنا:

الكريمُ يعجِّل الوعد إكرامًا، ويُمهل العصاة لعلَّهم يتوبون، فيُرزَقوا سلامًا

جيءَ في الآية الأولى (الآية: 94) التي تتكلَّم على المنافقين بحرف العطف ﴿ثُمَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ ممّا يدلُّ على التَّراخي في الزمن، والآية فيها وعيد، أي: من كَرَمِ الله عليهم أنَّه يؤخِّر العقاب عنهم في الدُّنيا؛ حتى يتوبوا، أو لعلَّهم يتوبون، ويغفر لهم[2].

أمّا الآيةُ التي تتحدَّث عن المؤمنين؛ فقد خُتِمت بقوله تعالى: ﴿وَسَتُرَدُّونَ﴾ بدون حرف العطف؛ لأنَّها متضمِّنةٌ وعدًا لهم، فبناه على قوله: ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ﴾، ولم يؤخِّره[3].

نكتةُ المشاكلة بين الآيتين:

لا يستوي المؤمنون المجاهدون والمنافقون القاعدون

لمّا كان الخطابُ في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ﴾ [التوبة: 105] للمعتذرين الخالطين التّائبين، فقد أُبرزوا بقوله: ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ﴾ إبرازَ المنافقين الذين قيل لهم: ﴿لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ﴾ [التوبة: 94]؛ تنقيصًا من الحال التي كانوا عليها قبل التَّوبة، وتنفيرًا لهم ولغيرهم عمّا

(1) الكرماني، البرهان في متشابه القرآن، ص: 138، والغرناطي، ملاك التأويل: 1/235، والهلال، تفسير القرآن الثري الجامع: 4/520.
(2) الهلال، تفسير القرآن الثري الجامع: 4/520.
(3) الكرماني، البرهان في متشابه القرآن، ص: 138.

وقعوا فيه من التَّخلُّف عن رسول الله ﷺ، وتذكيرًا لهم بنعمة الله عليهم؛ إذ كانوا على شفا حفرةٍ من النّار، فأنقذهم منها، وتنبيهًا لهم على أنَّهم - وإنْ تابوا - ليسوا كالذين جاهدوا معه ﷺ بأموالهم وأنفسهم[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الرَّدُّ والرّجوعُ:

الـــرَّدُّ بـالإكـراه والرجوع برغبة

الردُّ هو الإعادة بالجَبر أو الإكراه وبغير إرادة المردود، والرُّجوع عَوْدٌ برغبةٍ، ومن دون إكراه[2].

والفرق بين الرَّجع والردِّ: أنَّه يجوز أن ترجع شخصًا من غير كراهةٍ له، قال الله تعالى: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنۡهُمۡ﴾ [التوبة: 83]، ولا يجوز أن تردَّه إلّا إذا كرهت حاله؛ ولهذا يسمّى البَهْرَجُ[3] ردًّا، ولم يُسَمَّ رجعًا، هذا في أصل الوضع، لكن ربَّما استعملت إحدى الكلمتين: موضع الأخرى لقرب معناهما[4].

الرّؤيةُ والنّظرُ والبصرُ:

البـصـرُ إدراكٌ بالعين، والنظر توجيهُ البصر إلى شيء لـرؤيـتـه، والـرؤيـةُ إدراك المرئيّ

الفرق بينها: أنَّ النظر تقليبُ العين حيالَ مكان المرئيِّ، والإقبال بالبصر نحوه طلبًا لرؤيته؛ ولذلك قد يَنظر الإنسان إلى شيءٍ، ولا يراه، والرؤية: هي إدراك المرئيِّ[5].

وأمَّا البصرُ في حقِّ الله تعالى؛ فهو الصِّفةُ التي تفيدُ أنَّ الله له بصرٌ يليق به سُبْحَانَهُ، يحيطُ بأقطار السماواتِ والأرض دقيقها، وجليلها، ظاهرها، وباطنها، وأنه - جلَّ في علاه - ذو البصيرةِ

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 5/501.
(2) الهلال، تفسير القرآن الثري الجامع: 20/45.
(3) هو الدِّرهم الذي فضَّته رديئة، وكلُّ رديء من الدَّراهم وغيرها. ينظر: ابن منظور، اللسان: (بهرج).
(4) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 249.
(5) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 543، 544.

بالأشياء المطَّلعُ على بواطنها التي ينكشف بها كمالُ نُعوت المبصَرات، والله هو البصير الذي يرى الأشياء كلَّها، ولا يُحجَب شيءٌ عنه[1].

والبَصَر في الإنسان حِسُّ العين وحاسَّة الرؤية، ويُقال: للجارحة الناظرة[2].

والمعنى في الآية: رؤيةُ الله تعالى أعمالَ العباد كما يليقُ به سبحانه، وإعلامُه النَّبيَّ ﷺ بها وإطلاعه عليها، وإيقاع المحبَّة في قلوب المؤمنين لأهل الصَّلاح، والبغضةِ لأهل الفساد، وهذا الإعلامُ والإيقاع يؤدّيان إلى إدراك النَّبيِّ ﷺ والمؤمنين هذه الأعمالَ[3]؛ لذا أُوثِر ذِكرُ الرؤية لِما فيها من معنى الإدراك، ولما في الأعمال من الظُّهور.

الإنباءُ والإخبارُ:

الإنـبـاءُ إخـبـارٌ لما كان مجهولًا حاله

الفرق بينهما أنَّ الإنباء لا يكون إلا للإخبارِ بما لا يعلمه المخبَر، وينبغي أن يقيَّد بالخفيِّ، أي: الذي كان خفيًّا، أمّا الإخبار؛ فيجوز أن يكون بما يعلمه، وبما لا يعلمه؛ ولهذا يقال: تخبرني عن نفسي، ولا يقال: تنبِّئُني عن نفسي، وكذلك تقول: تخبرني عمّا عندي، ولا تقول: تنبِّئُني عمّا عندي[4].

وهناك ما ينبغي أن يُبيَّنَ وجهُه، كقوله ﷻ: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: 49]، فالأصل أنَّ سيدنا عيسى عليه السلام لا يعلم هذا، والإنباء يُستعمل في ما الأصل فيه مجهولٌ لأحد الطرفين، وقوله ﷻ: ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: 105]، فلا شكَّ أنَّهم كانوا يعلمون ما يعملون، ولكن الله ﷻ، قال

(1) ابن منظور، اللسان، والزبيدي، تاج العروس: (بصر)، والسعدي، الحق الواضح المُبين، ص: 35 - 36.

(2) الجوهري، الصحاح، والرّاغب الأصفهاني، المفردات، وابن منظور اللسان: (بصر).

(3) البغوي، معالم التنزيل: 4/92، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 8/252.

(4) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 41، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (نبأ).

لهم: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [فصلت: 22]، كما أنَّهم تصرَّفوا وهُم في الدُّنيا تصرُّفَ مَن لا يعرف حقيقة ما يعمل، فاستعمل لهم اللَّفظَ الذي يقتضيه حالهُم[1].

والإنباء عن الشيء أيضًا قد يكون بغير حمل النَّبأ عنه، تقول: هذا الأمر ينبِئُ بكذا، ولا تقول: يخبر بكذا؛ لأنَّ الإخبارَ لا يكون إلّا بحمل الخبر[2].

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي: (نبأ).
(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 41.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن عشر، سورة التوبة من الآية 87 إلى سورة يونس الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن عشر، سورة التوبة من الآية 87 إلى سورة يونس الآية 14 [إشراف
مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 18 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-15-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 18 : المجلد الثامن عشر، سورة التوبة من الآية 87 إلى سورة يونس الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-15-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0758707 بتاريخ 2024/01/31م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»